الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

ادعاءات اليهود في الحرم القدسي الشريف ونتائج لجنة التحقيق عام ١٩٣٠م

دكتور محمد عبد الحميد الحناوى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر -كلية الآداب - جامعة أسيوط

مدينة القدس عربيا وإسلاميا

مما لا جدال فيه أن القدس مدينة عربية وإسلامية (١) ، وقضيتها حُسمت فى عقل وقلب كل عربى ومسلم فهى لا تزال طبقا لقرارات الشرعية الدولية مدينة محتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد قامت إسرائيل بمحاولة تهويد المدينة لجعلها العاصمة الرسمية لدولة إسرائيل بعد احتلالها للجزء الشرقى من المدينة إثر عدوان ١٩٦٧ ومن خلال تغيير التركيبة السكانية لصالح اليهود ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة .

ومن هذا المنطلق ، يسعى اليهود جاهدين إلى إعادة بناء هيكل داود وسليمان محل المسجد الأقصى بعد تقويضه وإزالته ، مدفوعين لتنفيذ هذه السياسة بفكرهم الدينى القديم . ويرتكز مخطط تهويد المدينة المقدسة على ما يأتى :

١- طمس الهوية العربية للمدينة عن طريق هدم الأحياء والمبانى الأثرية ذات الطابع العربى والإسلامى مثل هدم الجانب الغربى من المسجد الأقصى (حائط البراق) والذى يطلق عليه اليهود حائط المبكى ، وهدم حى المغاربة التاريخى .

٢- إجراء الحفريات المستمرة وبشكل واسع فى المنطقة الملاصقة للمسجد الأقصى ومن بينها النفق الذى افتتح فى شهر سبتمبر ١٩٩٦ .

٣- تطويق مدينة القدس بالمستوطنات اليهودية لتغيير معالم المدينة القديمة ، وفى نفس الوقت منع العرب والمسلمين من الحصول على تراخيص لمبانٍ جديدة مع هدم السلطات الإسرائيلية لمنازل العرب القائمة بدعوى الإجراءات التنظيمية بالمدينة (٢).

وعن المبنى الحالى للمسجد الأقصى فقد أسسه عام ١٠٣٣م عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الوليد ، وسمى بيت المقدس لأنه لم يعبد به صنم قط وفضلت الصلاة به عن غيره من المساجد (٣) ، باستثناء المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، فهو ثالث الحرمين وأولى القبلتين للمسلمين ، وحتى حادثة الإسراء والمعراج كان موقع الحرم القدسى الشريف مخصصا للعبادة والصلوات (٤) .

أما مسجد قبة الصخرة فقد بناه كذلك عبد الملك بن مروان عام ٧٢ هـ ورصد لبنائه خراج مصر لعدة سنوات (٥) ، وقد نالت القبة اهتمام المسلمين من تعمير وترميم فى عهد الخلفاء العباسيين وأمراء المماليك ولا تزال حتى اليوم تلقى كثيرا من الاهتمام من جانب الدول الإسلامية .

الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى

فى أعقاب صدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بإنشاء وطن قومى لليهود على أرض فلسطين العربية قام زعيم الحاخامات اليهود بفلسطين ومعه ممثل الحركة الصهيونية بتقديم طلب إلى حكومة الانتداب البريطانى للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى تمهيدا لهدمه وبناء معبد سليمان مكانه .

وأعلن " كلونز" رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكى فى تصريح نشرته له صحيفة Palestine Weekly اليهودية عام ١٩٢٩ أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس فى الهيكل إنما هو لليهود .

واستمرارا لهذه الادعاءات اليهودية فقد أرسل رئيس حاخامات رومانيا "روزنباخ" خطابا إلى رئيس المجلس الإسلامى ومفتى فلسطين فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٠ يطالبه بضرورة تسليم اليهود المسجد الأقصى لإقامة شعائرهم الدينية (٦) .

ولم يكتف يهود فلسطين على المطالبات السلمية . بادعاءاتهم فـي المسـجد الأقصـى وبالتحديد على ملكية الجدار الغربى من الحرم الشريف ، بل أراد اليهود فرض سيادتهم على هذه المنطقة وإقرار أمر واقع عليها يؤكد دعواهم التاريخية ، فوقعت الاضطرابـات التى شهدتها القدس بين اليهود والمسلمين فى شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٢٩ وقتل عدد كبير من الجانبين بسبب ادعاءات اليهود لملكيتهم للحـائط الغربـى للحـرم الشـريف بلغـت (١٢٣) قتيـلاً و(٣٣٩) جريحـاً مـن اليهـود ، أمـا العـرب فقتـل منهـم (١١٦) وجـرح (٢٣٢)، وكـانت معظـم الإصابـات التـى ألمـت بـالعرب مـن جـراء مهاجمـات الجيـش والبوليس البريطانى (٧) ، وعلى إثرها قـام وزيـر المسـتعمرات البريطانيـة فـى يـوم ١٣ أيلول (سبتمبر) من نفس العام بتعيين لجنة للتحقيق فى الأسباب التى أدت إلى وقوع هـذه الحوادث واتخاذ التدابير اللازمة لمنع تكرارها.

وفى شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٩ بعثت لجنـة التحقيـق برسـالة إلـى وزيـر المستعمرات بتوصياتها ومن بينها تعيين لجنة مؤقتة فى أقرب وقت طبقاً للمادة (١٤) من صك الانتداب علـى فلسطين لتحديد الحقوق والادعـاءات بشـأن حـائط المبكـى فـى القدس(٨).

وفى الاجتماع الذى عقده مجلس جمعية عصبة الأمم عرض المندوب البريطانى فى المجلس بعض الاقتراحاتً التى تتفق وما أوصت به اللجنة ، وقد قرر المجلس بناء علـى ذلك أن يعهد إلى لجنة دائمة لتسوية هذه الحقوق والمطالب تتألف من ثلاثـة أعضـاء مـن غير الإنجليز على أن يكون أحدهم على الأقل من فقهـاء القـانون ، وقـد قـامت الحكومـة البريطانية فى يوم ٢ مايو (آيار) ١٩٣٠ بترشيح كل من : إليل لوفجرن وشارلى بيرد - رئيس محكمة العدل فى جنيف ، س . فـان كمبـن (الهولنـدى) – حـاكم السـاحل الشـرقى لجزيرة سومطرة ، وقد وافق مجلس جمعيـة عصبـة الأمـم فـى ١٥ مـايو (آيـار) ١٩٣٠ على تشكيل هذه اللجنة التى أبحرت إلى فلسـطين فـى يونيـو (حزيـران) مـن نفس العـام مزودة بكافة الوثائق والمستندات المتعلقة بحائط المبكى وأقامت فى فلسطين شهراً معظمه فى مدينة القدس ، وكانت خلال هذه المدة تعقد جلسة أو جلسـتين فـى اليـوم الواحـد عـدا يومى الجمعة والسبت حتى بلغ عدد جلسـاتها (٢٣) جلسـة ، حضـر بعضهـا وكـلاء عـن المسلمين واليهود لأخذ أقوالهم وكان نواب المسلمين موفدين من قبـل المجلـس الإسـلامى

الأعلى أغلبهم يمثل مختلف الأقطار الإسلامية فى العالم ، وكان عمل لجنة التحقيق أشبه بإجراءات المحاكم من سماع الشهود وتقديم المرافعات والمستندات بينما لم يكن من صلاحية اللجنة تحليف الشهود أو تكليفهم بإعطاء تأكيدات على صحة أقوالهم .

واستمعت اللجنة إلى (٥٢) شاهدا ، واحد وعشرون منهم وكلاء عن اليهود ، وثلاثون وكلاء عن المسلمين ، وشاهد واحد بريطانى ، قدم خلالها اليهود (٣٥) وثيقة ، والمسلمون (٢٦) وثيقة تؤكد صدق كلامهم. وقامت اللجنة بزيارة الحرم الشريف وحائط المبكى وضواحيه وأهم الكنائس العائدة للطائفة الاشكنازية والطائفة السفاردية لدرس حالة المبانى المختلفة ، وأوفدت أحد أعضائها إلى المحكمة الشرعية الإسلامية بالقدس للتعرف على سندات الملكية الخاصة بحائط المبكى وما يجاوره .

ونظرا للأهمية الخاصة المتعلقة على بقاء الأحوال الراهنة (ستاتيكو) فى الأماكن المسيحية المقدسة خشية امتداد الأطماع اليهودية إليها فقد قامت اللجنة بزيارات طويلة لهذه الأماكن ومنها كنيسة القبر المقدس وكنيسة المهد فى بيت لحم للتأكيد على بقاء هذه الأماكن كما هى فى أيدى المسيحيين بفلسطين (٩) .

ورغم استماتة اليهود فى الدفاع عن الحائط فقد أثبتت اللجنة الدولية أنه أثر إسلامى، كما أقرت حكومة الانتداب البريطانى ما جاء فى تقرير اللجنة وألزمت اليهود به (١٠) .

وصف حائط المبكى عام ١٩٣٠

يطلق اليهود على الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف اسم حائط المبكى ويدعون أنه نفسه قائما على موقع هيكل داود وسليمان ، وهذا الجدار نفسه هو الذى يطلق عليه المسلمون حائط " البراق" ، وهو نفس الموقع الذى عرج منه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليلة الإسراء ، ويضم هذا الموقع الأماكن المجاورة له. وحائط المبكى كما يدعى اليهود جزء لا يتجزأ من الحائط الغربى للحرم الشريف (١١)، على الرغم من أن الهيكل القديم لليهود دمره البابليون عام ٥٨٦ ق. م. ، ثم أعادوا بناءه مرة أخرى ودمر ثانية على أيدى الرومان عام ٧٠م .

والمسجد الأقصى هو أحد مسجدين داخل إطار الحرم الشريف ، أما المسجد الآخر فهو المعروف بقبة الصخرة أو ما يعرف بمسجد عمر .

أما ذلك القسم من الحائط الذى يدعى اليهود أنه يقوم على موقع هيكل سليمان فهو عبارة عن ثلاثين متراً من الحائط الخارجي للحرم الشريف ، ويمتد تجاه ذلك الجزء من الحائط رصيف لا يمكن الدخول إليه من الطرف الشمالى إلا عن طريق زقاق ضيق يبدأ من شارع الملك داود (باب السلسلة) ويمتد هذا الرصيف جنوبا إلى حائط آخر . وفى عام ١٩٢٩ فتح باب عند الطرف الجنوبى من الحائط الأخير يؤدى إلى تلك البيوت وإلى المسجد . ويبلغ عرض الرصيف الكائن أمام الحائط نحو أربعة أمتار ، وعلى مسافة قصيرة من الرصيف فى الجهة الجنوبية منه يوجد داخل الحائط تجويف غائر وهو المكان المعروف لدى المسلمين بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ربط بُراقه فيه ليلة المعراج ولهذا السبب أصبح كل هذا الحائط يعرف بالبراق أو حائط البراق (١٢) .

أولاً : ادعاءات اليهود بملكية موقع الحائط

أ) عادة اليهود بالنواح بجوار الحائط : اعتاد اليهود الذهاب عند الحائط والصلوات جماعة مرة كل سنة زاعمين أن هذه عادتهم التى تعود إلى زمن سحيق بعد خراب الهيكل وهو مكان الرب حيث يقومون بالبكاء والنواح كما ورد عندهم فى سفر إرميا والملوك (١٣) ، ويدعى اليهود أن أباطرة الرومان فى القرون الأولى من انتشار المسيحية كانوا يسمحون لهم بالقدوم إلى القدس وأداء فروض العبادة فى هذا المكان وبالصعود فى بعض الأحيان إلى جبل الزيتون لرؤية مكانهم المقدس عن بُعد وتلاوة الصلوات والنواح ، كما يدعون أنهم زاولوا هذه العادة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر (١٤) .

ب) تكرار العبادة عند الحائط : يقول اليهود إنهم اعتادوا الذهاب إلى الحائط سنويا ، من المرجح فى يوم ذكرى خراب الهيكل فى ٩ (آب) أغسطس ، ثم تكررت عادتهم فى مختلف الأعياد الدينية وفى أيام السبت باستثناء فترة انقطاعهم إبان احتلال الصليبيين للمدينة ، وبعد أن أعاد صلاح الدين المدينة إلى السيادة العربية لم يمنع اليهود من

الذهاب إلى الحائط ، وازداد قدومهم إليه منذ أواخر القرن الثامن عشر بسبب نمو أعدادهم فى فلسطين وبوجه خاص فى القدس .

وكانت صلواتهم تقتصر على البكاء والنواح ، أما الأتقياء منهم فكانوا يقتربون من الحائط ويلمسونه بجباههم ويبللونه بدموعهم ويضعون فى شقوق الحجارة أحيانا قصاصات من الورق تتضمن استرحامات وتمنيات دينية ، غير أن اليهود أخذوا بعد ذلك يقرأون بعض المزامير وقطعا من أسفار موسى أو الصلاة عند الحائط .

كما ادعى اليهود أنهم استعملوا بعض الأدوات المصاحبة لصلواتهم قبل الحرب العالمية الأولى مثل المقاعد وأستار لفصل الرجال عن النساء وخزانة تتضمن أسفار التوراة وقناديل طقسية وطشت للغسيل وغيره ، وكانت الإدارة البريطانية تسمح لهم بذلك.

وادعى فريق منهم أن صك الانتداب البريطانى على فلسطين ضمن لهم حرية العبادة عند الحائط حسب طريقتهم فى أداء الشعائر والطقوس الدينية دون تدخل العرب أو منعهم من ذلك (١٥) .

جـ- نفى اليهود مسألة البراق : ينفى اليهود إمكان اعتبار الحائط والرصيف الكائن أمامه ومحلة المغاربة أماكن إسلامية مقدسة ، ويصفون مسألة معراج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أسطورة تواردها المسلمون بعد زمن النبى محمد بدعوى أن البراق لم يرد ذكره فى القرآن ، وأن الطريق الذى سلكه النبى قبل دخوله ساحة الحرم ليس معروفاً تماما للمسلمين الذين لم يطلقوا اسم البراق على الحائط إلا فى السنوات السابقة على عام ١٩٣٠ ، مطالبين باعتبار حائط المبكى مكانا مقدسا لجميع يهود العالم قاطبة والسماح لهم بأداء طقوسهم دون ممانعة من أحد .

ثانياً : وجهة النظر الإسلامية

وهى التى أدلى بها نيابة عن جميع المسلمين أحمد زكى باشا وكررها من بعده محمد على باشا – معترضا على عمل اللجنة وما أبدته من دفوع تخدم وجهة النظر

اليهودية معترضين بصفة مبدئية على عدم الاعتراف بالانتداب البريطانى على فلسطين وبذلك لا يمكن إقرار أى عمل مستمد من هذا النظام ، وبالطبع السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين ، كذلك فإن النزاع الدائر على ملكية أماكن العبادة بين المسلمين واليهود ، وعلى حقوق مدعى بها فى هذه الأماكن ، يجب أن يرفع إلى الهيئة المختصة وهى المجلس الإسلامى للفصل فى أمر الوقف والأماكن الإسلامية المقدسة (١٦) .

أ) الولاية العربية على القدس وفلسطين

يؤكد التاريخ على أن اليهود بعد أن عادوا لفلسطين بعد السبى البابلى وتدمير الهيكل الأول فى القرن السادس ق. م طردهم الرومان مرة ثانية على إثر تدمير الإمبراطور تيتوس لمدينة القدس وهيكلهم الثانى عام ٧٠ م ، ثم تدمير مدينة القدس وقتل سكانها من اليهود على يد ايليوس هادريانوس عام ١٣٥م حيث قام بتغيير اسمها لتصبح ايليا كابيتولينا ، ثم حكمها البيزنطيون حتى الفتح العربى فى عهد عمر بن الخطاب ، وظلت فى حوزة العرب جيلا بعد جيل إذا استثنينا مدة تسعين عاما خضعت فيها لسيادة الصليبيين . ولم يتعرض العرب لليهود الذين وفدوا إلى فلسطين بأعداد ضئيلة ، بل أكرم مثواهم حكام البلاد المسلمون . وخلال هذه الفترة الطويلة لم يقع أى نوع من الحوادث عند البراق ، ولم يَدّعِ اليهود يوماً من الأيام أى حق فى الحائط ، بل كانوا قانعين بالذهاب إليه للنواح حيناً بعد آخر مستغلين تسامح العرب المسلمين . وقد أدى وعد بلفور الذى أدمج فى أحكام صك الانتداب إلى وقوع الخلاف بين الطرفين وإراقة الدماء فى فلسطين ، مشجعاً اليهود على تقديم مطالب لم يحلموا بها فيما مضى ، بل ساعدهم على إنشاء الوطن القومى لهم على أرض فلسطين ، ولم تكن تلك الأرض التى فتحها العرب فى القرن السابع الميلادى مملكة يهودية قط ، بل لم يكن لهم فيها أى حق على الإطلاق (١٧) .

ب) مدى أحقية اليهود فى الحائط والرصيف وما جاورهما

لا جدال فى أن العرب المسلمين فى فلسطين كانوا يمتلكون هذه الأماكن منذ قرون عديدة ، فموقع البراق جزء لا يتجزأ من الحرم القدسى الشريف وليس فيه حجر واحد

يعود إلى عهد الملك سليمان ، والممر الكائن عند الحائط ليس طريقاً عاماً ولكنه أنشئ فقط لمرور سكان محلة المغاربة وغيرهم من المسلمين فى ذهابهم إلى مسجد البراق ومن ثم إلى الحرم الشريف ، والمنطقة التى حولها يقطنها مسلمون من المغاربة الحجاج، وبذلك لا يحق لليهود نزع ملكيتها لإنشاء (كنيس) لهم ، ولا يعنى تسامح الحكام العرب معهم بتواجدهم عند الحائط فى أيام معلومة مطالبتهم بإقرار حقوق دائمة لهم ، وقد أكد المرسوم الصادر من إبراهيم باشا عام ١٨٤٠م ، والفرمان العثمانى الصادر عام ١٨٨٩م على ذلك (١٨) .

جـ) الحالة الراهنة

أما عن تمسك اليهود بالحالة الراهنة من أنهم اعتادوا الذهاب إلى الحائط والنواح على سقوط عظمة إسرائيل فلا يعطيهم الحق فى التملك ، لأن الموقع المذكور عائد لوقف إسلامى لا يجوز لهم إحداث أى تغير فيه ، ولذلك فقد اعترض المسلمون على جلب اليهود بعض الكراسى بجوار الحائط التى قد تصبح مقاعد ثابتة فيما بعد وبالتالى يكتسبون حقاً شرعياً فى الموقع بمرور الزمن ، وبذلك لا يستطيع اليهود الاستناد إلى مبدأ الحالة الراهنة ، وهو ما تفعله إسرائيل الآن من فرض سياسة الأمر الواقع (ستاتيكو) على أهل فلسطين (١٩) .

د) الوقف وحكمه الشرعى

الوقف فى الشريعة الإسلامية هو حبس العين عن تمليكها لأحد والتصدق بريعها على جهة أو أكثر من جهات البر ، ولهذا لا تجيز الشريعة الإسلامية بيع الوقف ولا تحويله خلافاً لشرط الواقف ، ومن هذا المنطلق الإسلامى فإن موقع البراق لكونه جزءاً من الحرم الشريف يعتبر وقفاً من المرتبة الأولى التى توقف على المساجد ، أما الرصيف المجاور للحائط ومحلة المغاربة فهى وقف من المرتبة الثالثة المخصصة لاستعمال الزوار من المسلمين وحجاجهم . والشريعة الإسلامية تحظر على اليهود أن يدعوا بأية حقوق كانت فى هذه الأماكن ، حيث إن الوقف لا يسقط بتقادم الزمن إلا إذا كان الغاصب قد اغتصب الوقف مدة ثلاث وثلاثين سنة على الأقل بلا ممانعة ولا

انقطاع وهو الأمر الذى يجب أن يتنبه إليه المسلمون فى ضرورة تواصل رفض الأمر الواقع والثورة عليه باستمرار .

كما أن اليهود ليس من حقهم الادعاء بحق الارتفاق المعروف فى الشريعة الإسلامية لأن هذا الحق لا يتفق مع مزاعمهم إذ أنه يجب أن يكون لمنفعته عقار آخر ملاصق لا لمنفعة أشخاص (٢٠) .

هـ) قدسية الرصيف المجاور للحائط وما يليهما

إن قدسية الحائط الغربى الذى هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع . وقد ورد ذكر إسراء النبى صلى الله عليه وسلم إلى القدس . فيقول رب العزة فى كتابه الكريم : "**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** " (٢١) .

وقد عرف هذا الموقع إثر إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أى البعيد عن مكة ثم أصبح قبلة المسلمين الأولى قبل التوجه إلى بيت الله الحرام فى مكة . أما تقديس المسلمين للحائط والرصيف المجاور له فيأتى من أنه محل البراق الذى نزل فيه النبى صلى الله عليه وسلم ومر به ثم ربط فيه براقه فى الحائط نفسه ليلة الإسراء ، ولذلك فقد أوقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم وأنشئت فيها الزوايا وبيوت الحجاج المغاربة (٢٢) .

و) نوايا اليهود الحقيقية

لم يكن قصد اليهود من مطالباتهم قبل حوادث عام ١٩٣٠ بإقرار الوضع القائم لهم فقط ، بل إن غايتهم الحقيقية كانت ولا تزال وضع يدهم على الحرم الشريف وتقويضه جزءاً جزءاً ، وما حادث النفق الذى فتحوه فى شهر سبتمبر الحالى (١٩٩٦) ببعيد . فتصريحاتهم شئ ، وأفعالهم شئ آخر مخالف تماماً لتصريحاتهم وأقوالهم . وقد اعترفت لجنة شو Shaw نفسها بأن مخاوف العرب من اليهود فى هذا الشأن معقولة وفى محلها.

إن وعد بلفور هو الذى استثار اليهود لطلب بعض الحقوق التى لا وجود لها فى الحقيقة ، إذ أن مطمعهم الأساسى هو الاستيلاء على مسجد قبة الصخرة والساحة المحيطة به وهى فى نظرهم ساحة الهيكل وإخراج العرب من فلسطين نهائيا ليحلوا حينئذ محلهم . إن اليهود يتطلعون إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى واجتماع شملهم فى فلسطين ، وإعادة بناء دولتهم اليهودية وهيكلهم ، وإقامة عرش داود فى القدس دون غيرها .

وهذه الحالة التى أوجدها اليهود فى الأرض المقدسة وعلى وجه التحديد فى القدس تشكل مصدر خطر دائم يهدد السلام كما جاء فى تقرير اللجنة الدولية التى بحثت الأمر من جميع جوانبه ورأت أن أفضل حل لفض هذا النزاع هو منع اليهود من الاقتراب من الحائط (٢٣) . وكانت مهمة لجنة شو Shaw هو التحقيق فى النزاع الذى نشأ بين العرب واليهود فيما يتعلق بعادة اليهود فى الذهاب إلى الحائط الغربى أو البراق وهو ما يطلق عليه اليهود حائط المبكى للتضرع وذرف الدموع.

وقد ألقيت التبعة على بريطانيا صاحبة الانتداب على فلسطين بعدم تصديها لإدارة أى الأماكن الإسلامية المقدسة التى يضمن صك الانتداب ضمانا تاما بعدم تعرضها لامتيازاتها . وقد احتج رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى كتاب بعث به إلى الجمعية العامة لعصبة الأمم بتاريخ ١٧ شباط (مارس) ١٩٣٠ لتعيين لجنة دولية للبت نهائيا فى حقوق ومطالب اليهود بشأن الحائط الغربى ، نظرا لأن أى تلميح أو إشارة إلى حقوق ومطالب اليهود فى هذا المكان تعتبر تعديا خطيرا على حقوق المسلمين ومقدساتهم .

لكن الحكومة البريطانية فى كتابها الأبيض الصادر فى شهر تشرين الثانى (أكتوبر) ١٩٢٨ ذكرت أن الحائط الغربى أو المبكى يؤلف قسما من الحائط الخارجى لهيكل اليهود القديم وهو مقدس لدى اليهود ، ويشكل الحائط أيضا قسما من الحرم الشريف وهو بصفته هذه مقدسا لدى المسلمين وملكا لهم ، كما أن الرصيف المقابل له وقفا عليهم ، ورأت تطبيقا لأحكام المادة (١٣) من صك الانتداب على فلسطين أن المسألة توجب المحافظة على الحالة الراهنة والسماح لليهود بالمرور لإقامة صلواتهم على الرغم من

ملكية المسلمين له مع عدم السماح بإجراء أية محدثات أو تغييرات فى أو بالقرب من الحائط نفسه مما يلحق باليهود إزعاجاً أثناء إقامة صلواتهم (٢٤) .

وخلصت اللجنة إلى أن حق ملكية الحائط والتصرف فيه وما جاوره من الأماكن عائد إلى المسلمين لا ينازعهم فيه منازع لكونه جزءا لا يتجزأ من الحرم الشريف ، كما أن الرصيف الكائن عند الحائط حيث يقيم اليهود صلواتهم هو أيضا ملكٌ للمسلمين ، حيث ثبت للجنة أن المنطقة التى تكتنف الرصيف قد وقفها على المسلمين الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبى حوالى عام ١١٩٣م . أما منازل الحجاج المغاربة التى أنشئت حوالى عام ١٣٢٠م فقد أوقفها عليهم أبو مدين الغوث بإعلان شرعى أصدره القاضى سنة ١٦٣٠ م بعد أن فقدت صكوك الوقف الأصلية لها .

فإن كان يجب المحافظة على الحائط الغربى والرصيف الكائن أمامه لمصلحة اليهود الدينية ، وجب عليهم أيضا أن يراعوا حرمة المسلمين الذين أكرموا مثواهم ، والذين ضمنت لهم أحكام صك الانتداب مقاماتهم المقدسة (٢٥) .

وفضلا عن ذلك ، فقد تلقى المسلمون ما ورد فى الكتاب الأبيض فى هذا الشأن بمزيد من الارتياح على حد ما ذكرته لجنة "شو" فى تقريرها . وفى ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٢٨ أرسل مفتى القدس بصفته رئيس المجلس الإسلامى الأعلى كتابا إلى حاكم مقاطعة القدس يقول فيه :

" اطلع المجلس الإسلامى الأعلى على الكتاب الأبيض الذى أصدره حضرة وزير المستعمرات فى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٢٨ ، ونشرته الجريدة الرسمية بشأن قضية البراق (حائط المسجد الأقصى الغربى) ، فوجد "أن ما فيه من الدقة وبعد النظر ومراعاة العدل من غير أى محاباة قد بدد بوضوح وصراحة تلك الغيوم التى حاولت الدعاية الواسعة والضجة المصطنعة أن تخفيا تحتها الحالة الراهنة ... " ، ويصف موقف الحكومة البريطانية فى هذا الشأن بالنزاهة ، وضرورة إسراعها بالمحافظة على الحالة الراهنة التى استمرت منذ عهد الأتراك وظلت مرعية قبل الحرب العالمية الأولى، ومنع وضع اليهود لأى حاجز أو ستار سواء لفصْل الرجال عن النساء أو لأية غاية أخرى ، أو وضع أية سجاجيد أو حصر ، أو النفخ فى البوق (شوفار) .

وأقرت اللجنة أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف ، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير (٢٦) .

وقد توصلت اللجنة المكونة من : الياس لوفجرين ، وشارلي بيرد ، وفان كمبن ، وستيج ساهلين إلى آرائها وقراراتها في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٠ ، والتي كانت في صالح العرب (٢٧).

الحواشي والمصادر

(١) نشأت مدينة القدس على يد العرب الكنعانيين قبل مجيء نبي الله داود إليها بقرون طويلة ، ومن المؤكد أن سالم اليبوسي الكنعاني العربي هو مؤسس مدينة القدس عام ٣٥٥ ق.م. ، لا كما يزعم اليهود أنها تأسست عام ١٠٠٠ ق.م. على يد داود عليه السلام ، ولذلك أطلق عليها أورسالم أي مدينة سالم حيث إن كلمة "أور" كلمة سومرية تعني "مدينة".

(٢) أصبح اليهود الآن يملكون ٨٤٪ من مباني مدينة القدس مقابل ١٤٪ للعرب و٢٪ للأجانب بعد أن كانت عام ١٩٤٨ بواقع ٩٤٪ للعرب ، و٤٪ لليهود ، و٢٪ للأجانب .

(٣) عز الدين الخطيب التميمي : القدس في ضوء العقيدة الإسلامية ، وزارة الأوقاف الأردنية ، ١٩٧٩ ، ص ٧٧.

(٤) ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٥) اسحق موسى الحسيني : عروبة بيت المقدس ، مركز الأبحاث الفلسطيني ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .

(٦) عز الدين الخطيب ، المرجع السابق ، ص ١١٣، ١١٤ .

(٧) د. عبد العزيز الشناوي ، د. جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ١٨٢ .

(٨) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، ج ٢ ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ - ٢٦٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

(١١) .يبلغ طول الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف ما يزيد على المائة متر وارتفاعه نحو عشرين مترا .

(١٢) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(١٣) سفر إرميا (الإصحاح الحادى والأربعون ، العدد ٥) ، سفر الملوك الأول (الإصحاح الثامن - العدد ١١) .

(١٤) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ - ٢٩٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢١) سورة الإسراء ، الآية (١) .

(٢٢) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ - ٣٣٧ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ - ٣٤٥ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ .